تدرس هذه المحاضرة **تاريخ الخط المغربي وأصنافه**، بحثًا في **مجموع خطوطه ومراحل تطوره ببلاد المغرب والأندلس، وإبراز ماهية كل نوع من أنواعه، وخصائصه ومظاهره.**

1 . تاريخه:

دخل الخط العربي إلى إفريقية والمغرب والأندلس مع الفتح الإسلامي، وانتشر مع استقرار العرب فيها، ويبدو أنه أخذ يتحسن من أوائل المائة الثانية للهجرة، حيث كان صالح بن طريف البربري البرغواطي محسنًا في الخط العربي[1].

وكان الخط المغربي في أول الأمر مطبوعًا بطابع شرقي محض تأثرًا بكتابة الفاتحين العرب، ثم أخذ يميل إلى الكوفي والنسخي المستعملين معًا في هذه الفترة بالقيروان[2].

فظهر الخط القيرواني منذ القرن 5هـ / 11م متسمًا بروح مغاربية أخرجته عن طابعه المشرقي (الخط الكوفي القديم)[3] يقول ابن خلدون: « وكان الخط البغدادي معروف الرسم وتبعه الأفريقي المعروف رسمه القديم لهذا العهد ويقرب من أوضاع الخط المشرقي »[4] لتزرع فيه أسلوبًا خاصًا بأهل القيروان سمي بالبديع[5]، حيث بلغ أعلى مراتب الإجادة والتفنن خاصة على شواهد القبور الأغلبية[6].

وفي عهد بني زيري (362 ــ 543هـ / 972 ــ 1048م) ازدهرت العلوم

---

[1] ابن حوقل محمد بن علي أبو القاسم النصيبي (ت 350هـ / 961م)، **صورة الأرض**، منشورات مكتبة الحياة، بيروت ــ لبنان، 1992، ص82.

[2] ابن خلدون، **كتاب العبر**، ج2، ص124، 125.

[3] مشتق من الخط النبطي الذي كان متداولاً في شمال الجزيرة العربية وجبال حوران، ولأن الكوفة قد تبنته ورعته في البدء سمي بالخط الكوفي. ينظر: أحمد شوحان، **رحلة الخط العربي من المسند إلى الحديث**، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص46.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص124.

[5] طارق عبيد، **الأبعاد التشكيلية والجمالية لصورة الحرف العربي: مصحف الحاضنة نموذجًا**، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 2008، ص111.

[6] محمد الصادق عبد اللطيف، **في التاريخ الثقافي التونسي لمحات من تطور الكتابة والخط في تونس إلى نهاية القرن الخامس الهجري**، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ت بيت الحكمة، تونس، 2008، ص102، 103.

وخاصة في عهد المعز بن باديس (406 ــ 454هـ / 1015 ــ 1062م)، فقد بلغت العناية بالكتب ونسخها وتنسيقها وزخرفتها، وهذا ما تشهد به المصاحف المحبسة التي تعد آية في جمال الخط ورونق التذهيب والزركشة والتزويق[1].

ووظف الخط الكوفي أواسط القرن 5هـ / 11م في أغلب النصوص الدينية والتاريخية المرابطية، كما استعمل على مختلف المواد المستعملة في زخرفة المعالم التاريخية وصناعة الفنون التطبيقية وشواهد القبور، وقد تجاوز الكوفي المرابطي الشكل البسيط الذي ساد في الفترة الإدريسية، حيث أدخلت عليه بعض التغييرات مست نظام توزيع الحروف وأشكالها ونوعية الزخارف المرافقة له وأماكن وجودها[2].

وقد تنوعت الكتابات الكوفية المرابطية بجامع القرويين فمنها المشجر تتفرع عن حروفه فروع الأشجار، ومنها الكوفي المزهر الذي تتفرع من هامات قوائم حروفه زهيرات، ونوع ثالث تجري كتاباته فوق أرضية من زخارف نباتية تنساب أسفل الكتابة على المساحة المكتوبة[3].

وبلغ الخط العربي مبلغًا من التجويد والحسن في العصر الموحدي، يقول ابن خلدون: « فصتر أهل خط إفريقية من أحسن خطوط أهل الأندلس حتى إذا تقلص ظل الدولة الموحدية بعض الشيء وتراجع أمر الحضارة والترف بتراجع العمران... »[4]، فقد تبغ وراقون مغاربة مجيدون وكان من بينهم بعض المصحفيين والملتزمين لمنتسخات بعينها، وقد تفنن أفراد في تنويع الخطوط وتفريعها إلى دعة طرائق مغربية ومشرقية وظهر بعض المزخرفين للكتب

---

[1] محمد الصادق عبد اللطيف، المرجع السابق، ص105.

[2] الحاج موسى عوني، **فن المنقوشات الكتابية في الغرب الإسلامية**، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، 2009، ص61.

[3] عثمان عثمان إسماعيل، **تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى**، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الربط، 1993، ص217.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص124.

والمجيدين للتسفير وازدهرت صناعة الورق[1].

ومن بواعث نهضة الخطاطة أن الخلفاء الموحدين أنفسهم كان لهم اهتمام خاص بهذه الناحية، وصاروا يستأدبون لأبنائهم معلمين خطاطين، فقد ترجم في الذيل والتكملة[2] لعبد الولي بن محمد بن أحمد البلنسي (ت بعد سنة 570هـ / 1174م) فذكر عنه أنه كان حسن الوراقة وأدب أبناء السلطان، كما ترجم ابن الأبار في التكملة لعبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله الأنصاري الحارثي (ت 612هـ / 1215م) وقال عنه: « كان حسن الخط واستأدبه المنصور لبنيه »[3].

كما ترجم في الذيل والتكملة[4] لمحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الرعيني المرسي الوشقي الأصل (ت 620هـ / 1223م) أنه سكن مراكش طويلاً وكان نبيل الخط في طريقة أهل شرق الأندلس، وترجم فيه أيضًا لمحمد بن عبد الله بن محمد التجيبي القرطبي (ت 641هـ / 1244م) فقال عنه: « وكان بارع الخط حسن المترع فيه »، واستدعاه الرشيد من بني عبد المؤمن إلى تعليم ولده وتأديبه[5].

وقد نبغ أبناء عبد المؤمن ثلاثة عشر كلهم خطاطون، وامتدح الأمير عمر بن عبد المؤمن بإجادة الخط من طرف ابن مجبر الأندلسي (ت 588هـ / 1193م) بقوله:

تَبُثُّ يمناه زهرًا في الطُّروس ولا نُكْرٌ على السُّحْبِ أن يُنبِتن أزهارَا
خطٌّ هو السحر لكنا نتزهه ونجعل القلم النَّفاث سَحّارا[6]

---

(1) محمد المنوني، **تاريخ الوراقة المغربية صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة**، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1991، ص27.

(2) ابن عبد الملك أبي عبد الله محمد بن محمد الأوسي (ت 703هـ / 1303م)، **الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة**، حققه وعلق عليه: إحسان عباس وآخران، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012، ص57.

(3) ابن الأبار أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ / 1260م)، **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ــ لبنان، 1995، ص203.

(4) ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج6، ص105.

(5) المصدر نفسه، ج4، ص324، 325.

(6) **شعر ابن مجبر الأندلسي**، جمع ودراسة وتحقيق: محمد زكريا عناني، ط1، دار الثقافة، بيروت، 2000، ص100.

والخلفاء الموحدون أنفسهم كانوا يجيدون الكتابة بأكثر من خط، ويوقعون المنشورات الرسمية بيدهم بخط الثلث المشرقي، وبالمداد الأحمر المعروف لهم، فقد ثبت أن بلاط الخليفة المرتضى كان يتوفر على ديوان للنساخين[1].

وبعد عصر الموحدين أخذ الخط المغربي في الرداءة بسبب فساد الحضارة وتناقص العمران، وصارت الخطوط بإفريقية والمغربين بعيدة عن الجودة، وصارت الكتب إذا انتسخت فلا فائدة تحصصل لمتصفحها منها إلا العناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصحيف وتغيير الأشكال الخطية عن الجودة حتى لا تكاد تقرأ إلا بعد عسر[2].

وقد وضعت إحدى الدراسات[3] تحفظًا إزاء ما قدمه ابن خلدون إزاء اضطراب الكتابة، فهناك مخطوطات مغربية في غاية الجودة والإتقان تعود إلى عصر ابن خلدون وما تلاه، بخط مبسوط تعود إلى العصر المريني أثبتتها النقوش الكتابية الرائعة بخطي الثلث المغربي والكوفي بالمدارس البوعنانية بفاس إلى عهد السلطان أبي عنان (749 ــ 759هـ / 1348 ــ 1358م) على الأقل.

2 ـ أصنافه:

يشمل الخط المغربي بصفة عامة مجموع خطوط بلاد المغرب والأندلس، وقد مر بعدة مراحل أرّخ لها الشيخ محمد المنوني في كتابه « تاريخ الوراقة المغربية »[4]، وبيّن أطوارها وترجم لكثير من الخطاطين والنساخين فس عهود الدول المغربية في العصور الإسلامية الأولى إلى نهاية عهد مغراوة وبني يفرن، وعصور المرابطين والموحدين والمرينيين والوطاسيين والسعديين والعلويين.

وقد كان الخطان الحجازي والكوفي هما الأصل في تطور الخط ببلاد المغرب، وقد أثر الخط الكوفي العراقي في كتابة أهل إفريقية فتولد عنه الخط الكوفي القيرواني الذي أدى

---

[1] محمد المنوني، **العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين**، ط2، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977، ص270 ــ 274.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص125.

[3] محمد المغراوي، **الخط المغربي عند ابن خلدون**، مجلة دخائر، ع9، 2001، ص11.

[4] للتفصيل يراجع: محمد المنوني، **تاريخ الوراقة المغربية**، ص17 ــ 319.

تطوره إلى ظهور الخط الإفريقي[1]، ويمكن اختزال هذا التطور والتفرعات الناتجة عنه في الرسم الآتي:

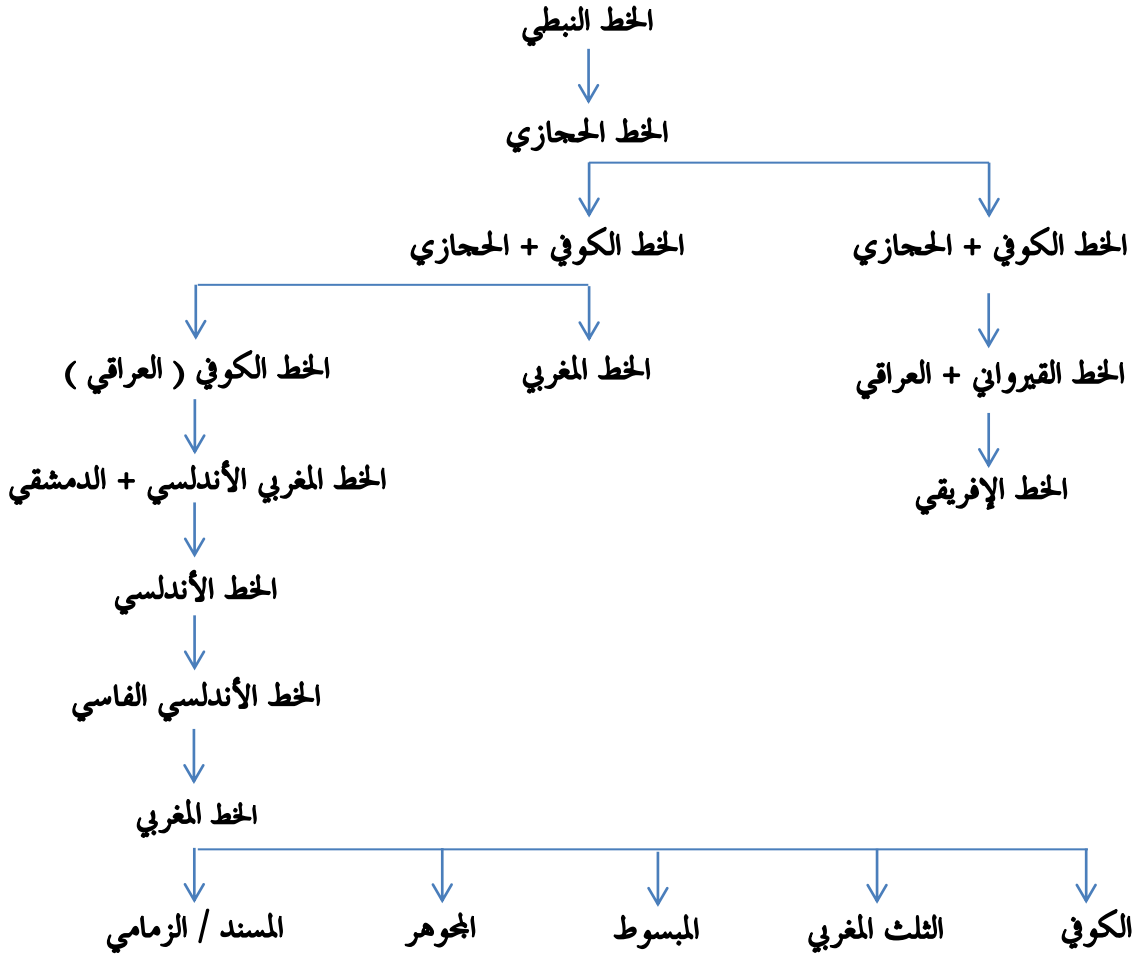

وقد أسفر التطور الذي حصل خلال المرحلة المغربية على الخصوص تحديد أنواع الخط المغربي في خمسة أنواع ابتداءً من العصر المريني، حيث يمكن تمييزها من الناحية الفنية بين مستويين؛ الأول الخطوط الفنية وهي تلك الأنواع التي تخضع لمقاييس بصرية وضوابط فنية يكتسبها الخطاط بواسطة التقليد وبموهبة أصيلة وتمرن طويل، مثلما هو الأمر بالنسبة للكوفي والثلث المغربي والمبسوط والمجوهر، والمستوى الثاني يتعلق بالخطوط الإعتيادية فهي عبارة عن كتابة وظيفية دقيقة لم تكتسب قيمة فنية عالية، كما هو الشأن بخصوص المسند الزمامي[2].

---

[1] عمر أفا ومحمد المغراوي، **الخط المغربي تاريخ وواقع وآفاق**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007، ص32.

[2] المرجع نفسه، ص57.

وهذه بعض التفاصيل عن الأنواع المذكورة وفق الجدول الآتي:

نوع الخط	ماهيته	خصائصه ومظاهره
الكوفي المغربي	خط هندسي بديع لا يستعمل في الكتابة العادية إلا نادرًا، وهو استمرار للخط المنساب بعد العصر الإدريسي عن طريق الأندلس.	ـــ يتميز بخطوط مستقيمة وزوايا حادة. ـــ تظهر أشكاله على النقود ورق الغزال في المصاحف القديمة، أو منقوشة على الحجر على أبواب المدن، وفي الجبس على جدران المساجد والمدارس العلمية العتيقة وقبور الملوك وأضرحة الأولياء.
المبسوط	أشهر أنواع الخطوط المغربية.	ـــ يتميز بالوضوح وسهولة القراءة. ـــ يستعمل في كتابة المصاحف المطبوعة بالمطبعة الحجرية بالقاهرة وفاس (مصحف الوراق أحمد بن الحسين زويتن الفاسي المطبوع سنة: 1347هـ / 1928م، والمصحف الحسني المطبوع سنة 1400هـ / 1980م والمصحف الحسني المسبع المطبوع سنة 1417هـ / 1997م) وكتب الأدعية والصلوات وعلى أساسه يتم التعليم في الكتاتيب القرآنية.
	مقتبس من الثلث المشرقي، وكان يعرف بالمشرقي المتمغرب.	ـــ يمتاز بجمال حروفه وليونتها وانسيابها وزخرفتها بأشكال نباتية وملونة أحيانًا بماء الذهب. ـــ يستعمل غالبًا في زخرفة المساجد

الثلث المغربي		والأضرحة والمدارس العتيقة، وفي الكتابات التذكارية في الفنون المعمارية. ـــ استعمل في النقود منذ العصر الموحدي، وفي الزخارف على الرخام والجبس والزليج والخشب، وفي الطوابع السلطانية للملوك السعديين والعلويين. ـــ توجد أجود كتاباته في بعض المخطوطات المغربية وخاصة المصاحف القرآنية (دلائل الخيرات للإمام محمد بن سليمان الجزولي)، (الشفا في التعريف بحقوق المصطفى للقاصي عياض السبتي).
المجوهر	خط دقيق انحدر من الخط المبسوط في حدود القرن 6هـ / 12م، ويقع في مرتبة وسطى بين المبسوط والزمامي، وتحتاج قراءته إلى مهارة وتدريب، وكان أكثر استعمالاً في المغرب الأقصى خلال القرون المتأخرة	ـــ شكله مكثف وملامحه رشيقة وشديد الخصوصية. ـــ تمتاز حروفه بالإضافة إلى صغرها واندماجها باستدارة بعضها مثل حرف الجيم والصاد والقاف واللم والنون والواو والياء. ـــ تظهر أشكاله في الرسائل والظهائر السلطانية.
المسند	خط سريع ينحدر من الخط المجوهر ويعرف بالزمامي ويعرفه العامة بخط العدول وقد شاع استعماله أكثر في العصور المتأخرة.	ـــ حروفه مائلة إلى اليمين ومتسلسلة. ـــ تظهر أشكاله في التقاييد والرسوم العدلية والكنانيش التي يكتبها العلماء والإداريين.